هنـــد أبـــو الشعـــر حين تتحدّثُ عنها الإنجـــازات: ذاكـرة تَظَـلُّ وذِكـــرى تُظِلُّ

د . حسن خميس الملخ *

لا أعرفُ متى دخَل اسمُ الأستاذة الدكتورة هند غسّان أبو الشعر عقلي المشغولَ بتعليم الكلمات قوانين الائتلاف والانسجام والجمال، ولا أعرفُ لماذا كنتُ قبل أن ألتقيها مُعجبًا بها مؤرّخةً لا تلوّنُ الحقائق، وأديبة تسقي الكلمات الحبَّ والجمال، في حين كانت زوجتي الأستاذة الدكتورة سهى نعجة تراها إلى كلّ ذلك استثناءً مميّزًا في الإدارة التربويّة، وقد صدقتْ زوجتي وصدقتُ؛ إذ كانت، بعد رِفقة السنين، استثناءً فائق الإبداع في التأريخ، والأدب، وإدارة العمل التربويّ والأكاديمي.

لكنني أعرف أنني حين قابلتُها في جامعة آل البيت سنة ١٩٩٨م، قابلـــتُ في خطابها المليء بكلّ رغبات الإنجازِ والتفـــوّقِ والتميّزِ

* أستاذ النحو والصرف واللسانيّات في الجامعة القاسميّة ـ الشارقة.

التاريخَ والأدبَ والإدارة، وقابلتُ فيها الأنموذج الفريد في التعامل الإنسانيّ الراقي، وقابلتُ فيها سنديانةً وطنيّة منسوجة من تراب الولاء والانتماء والوفاء، تَظَلُّ تُظِلُّ: من ولادة الحكايات إلى طواف الكلمات، ومن ذاكرة الكراسي العابرة إلى باصرة الأيام القادمة، كأنَّها أتتْ من المستقبل الجميل لتدلَّنا عليه، لا من الماضي لنزهو به حينًا، ثم قد نتحسّر علينا وعليه.

الأستاذة الدكتورة هند أبو الشعر حالة فريدة من المزج بين الحُلم بغدٍ أفضل، والحرص على البحث عن إيجابيّات الواقع، والإفادة من تاريخ سابق ولو كان مؤلمًا؛ لأنَّها ترى في وردة عَزلاءَ منسيّةٍ في يوم عملٍ شاقٍّ مشروعَ بستانِ وُرُودٍ، ومصنعَ عطور، فلا تعرف اليأسَ، ولا تُخيفها المساحاتُ المعتمة، ولا تنشغل بالأصوات العالية الجوفاء، بل تبحث عن الأصوات الممتلئة بحبّ الأرض والإنسان، تلك الأصوات التي يصير صوتُ عملها معزوفةَ إنجازٍ، وبراءةَ اختراع لكلِّ القادمين من قريب، ومن بعيد، وهم يفتحون في جامعة آل البيت الشَّمّاء كتابَ ذاكرة الوطن، وسِجِّلَ الإنجازات، وأسماء الذين غَرسوا فأكلنا، أو وهم يمرّون على عبارتها الثابتة إلى ما شاء الله حين يصعدون الدرج إلى مكتبها أو مكتب العمادة وهم يقرؤون: «شكرا لاحترامِكم حقَّنا في المرور»؛ فإذا بالدرَج يصبح مَرقاة إلى عبارات أجمل، مثل: «حقُّكم واجبُنا» لا مِنّةً ولا فَضلًا؛ لأنَّ الدكتورة هند كانت تكتب القرار الإداريّ كأنها ترسم لوحة فنيّة من كلمات أدبيّة، تسمو بالذوق، وتُشعِر الآخر بأنَّه المخاطَب المقصود بالقرار من غير مباشرة جارحة أو فاضحة، فالاحترام أساس في تعامل الدكتورة هند مع الجميع؛ لهذا كان الخجل من الخطأ أو المخطئ يسبق العناد والجدال؛ فإذ به يتحوّل إلى صديق حميم.

كان من حُسن حظّي أنَّني عملتُ مع الدكتورة هند أجملَ سنوات عُمري في الإدارة، ليس لأنَّ العمل كان مُريحًا، أو أنَّ الأعباء كانت قليلة، أو أنَّ بنية الكلية كانت مكتملة مستقرة، أو ...، أو ...، بل لأنَّ العملَ في فريق الدكتورة هند دراساتٌ عُليا في محراب العمل الجامعيّ

حين يغدو يدًا تبني، ولسانًا يشرح ويشكر، وقلبًا يحبّ ويفرح، بل حين يغدو العمل مُتعة، والإنجاز مُلكًا للجميع، وأشهد أن اليوم كان يمضي كأنَّه دقائق معدودة، لا ساعات على مناخات اليوم ممدودة.

إنّني، وبعد قرابة خمسة عشر عامًا من رِفقة الدكتورة هند مُساعدًا لها في عمادتها لكليّة الآداب والعلوم لشؤون الأقسام الأدبيّة، ثم مساعدًا لها حين استقلال كلية الآداب عن كلية العلوم، ثم نائبًا لها في الكلية، وفي الوقت نفسه زميلًا لها في مجلس الجامعة عن مقعد إدارتي لمركز إحياء التراث العربي الإسلاميّ في الجامعة، بالإضافة إلى عملي معها نائبًا؛ إنّني بعد كلّ هذه السنوات ما أزالُ على ما تعلمتُه منها في التعالي عن الصغائر، والحرص على الإنجاز الحقيقيّ، وتزيين العمل بالابتسامة والسعادة، وعدم انتظار كلمة «شكرًا» من أحد مَهما تعبتُ؛ لأنَّها علمتني أنَّ العملَ إنجاز مجرّد من أن يكون من أجل مصلحة، أو لإرضاء أحد؛ إنَّه شجرة نزرعها في الأرض التي نحبّها، وفي المكان الذي نعشقه؛ ليأكل منها من يأتي بعدَنا، وليجلس تحتها من هرب من وعثاء التعب، وألم المسافات، ووجع الفشل؛ فالأعمال البنّاءة المفيدة هي الباقيات الصالحات.

وسأبدأ بالباقيات الصالحات من ذاكرة الأعوام الثلاثة، كلّها صالحات بصحبة العميدة الدكتورة هند في إدارة أكبر كليّات جامعة آل البيت آنذاك، وهي ذاكرة ما تزال آثارها في كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة كما هي، من غير أن ينجح أحد في الإضافة الحقيقيّة إلى تلك الأعمال الصالحات في البنية التحتية والهوية الحضارية للكلية، وإن نجح بعض الزملاء في إدارتها والحفاظ عليها على ما رسّخت الدكتورة هند من أعراف أكاديميّة، ولاسيما في الاهتمام بالنشاطات الثقافيّة والندوات العلميّة.

عندما عهد الأستاذ الدكتور سلمان البدور إلى الدكتورة هند بعمادة أكبر كلية آنذاك في

الجامعة، كان يعرف أنَّ هذه الدكتورة المؤرّخة الأديبة هي التي ستغيّر وجه كلية الآداب والعلوم إلى الأبد عندما تتسنّم عمادةً يذهب معظمُ ميزانيتها إلى الأقسام العلميّة، مثل الكيمياء وغيره من أقسام العلوم، وتمتدّ معظم مساحتها في مبانيها الثمانية على مختبرات الأقسام العلميّة، ويستهلك سجلّ موظفي الأقسام العلميّة معظم صفحاتها، ويأكل وقت أيّ عميد ما كان بين قليل منهم آنذاك من ضوضاء سيئة الألوان والأصوات.

كان الأستاذ الدكتور سلمان البدور يعرف كلّ هذا، ويعرف كيف يمدّ الدكتورة هند بالاثنين المناسبين لمساعدتها، فكان صديقي العزيز الدكتور هيثم السعدوني من قسم الكيمياء مساعدًا لها للأقسام العلميّة الغنية بكل شيء، وكنت أنا القادم من قسم اللغة العربيّة وآدابها مساعدًا لها للأقسام الأدبية الفقيرة إلا من شيء واحد، وهو الإبداع في تنظيم المؤتمرات الدولية.

كان يوم العميدة الدكتورة هند يبدأ باجتماع قصير عند الساعة الثامنة مع فريق إدارة العمادة لا يتجاوز النصف ساعة، نشرب فيه القهوة أو الشاي، ونخطّط لتوزيع العمل اليوميّ بيننا، ثم نفترق، كلٌّ منّا له عمل ينجزه حتى إذا قارب اليوم على الانتهاء؛ كان هناك اجتماع قصير ثانٍ لتقييم ما تمّ إنجازه، وحْمل ما تبقى من العمل إلى منازلنا، أو التفكير في حلّ إشكالية ما، أو التخطيط لعمل ما؛ لكي يكون في اليوم التالي أول ما نبدأ بمناقشته في الصباح.

وأمّا الاجتماعات الرسميّة لمجلس الكلية، واللجان العليا فيها؛ فشيء يجب أن يبقى للذكرى؛ إذ كانت للدكتورة هند قدرة استثنائيّة على الصمود في الاجتماعات بتركيز شديد لمدة طويلة تصل إلى ثلاث ساعات في الغالب، وإدارة الاجتماعات بلا تعب، أو كلل، أو ملَل، ومناقشة التفاصيل الصغيرة والكبيرة بدقّة واستفاضة؛ وللحقّ كانت الدكتورة هند مستمعة مثالية، تعطي لكلّ مناقش حقّه من الكلام باحترام وتقدير حتى لو كان رأيه على

غير ما ترى وتريد؛ لأنَّها تؤمن أنَّ الإداريّ الناجح مستمع أكثر منه متكلمًا، وكانت مستعدة دائمًا في حواراتها ومناقشاتها إلى الاقتناع بوجهة نظر الآخر إذا أقنعها، فلم تكن تستبدّ بوجهة نظرها.

وللحقّ أيضًا، كُنّا في كلية الآداب والعلوم نشعر نحن أهلَ الآداب بشيءٍ من عدم الرضا يُظهِرُه أو يُخفيه بعضُ الزملاء والموظفين في الأقسام العلمية عن وجودها ووجودي، كأنّنا احتلال واستعمار قادم من الأشعار وحكايات التاريخ، ولا عهد له بالتكنولوجيا والحاسوب والمختبرات، ولكنّنا بدأنا نتعلّم مصطلحاتهم، ونتعرّف عالمهم، ونتودّد إليهم، ونسهّل لهم كلّ معاملاتهم، و...، و... إلخ من غير أن يتغيّر الشعور؛ حتى استقرَّ في ذهن الدكتورة هند بعد نقاش طويل مع الدكتور هيثم ومعي، ومع بعض الزملاء الرائعين من الأقسام العلمية مثل: الأستاذ الدكتور ياسين السعود الذي كان رئيسًا لقسم الكيمياء آنذاك، ومن الأقسام الأدبية مثل الأستاذ الدكتور زيد القرالة الصديق المقرّب منّا دائمًا مع أنَّه من قسم اللغة العربيّة، وغيرهما من الأصدقاء الرائعين في أقسام الآداب والعلوم؛ استقرَّ في ذهن الدكتورة هند آنذاك أنَّ العلوم والآداب عالمان يتوازيان ولا يتحدان في كليّة واحدة.

وهكذا بدأ التفكير في فَصْل كليّة الآداب عن كليّة العلوم، ثم صار الأستاذ الدكتور عادل الطويسي، حفظه الله، رئيسًا للجامعة، فدعم الفكرة، وشجّع على استكمال إجراءات الفصل التي كانت أشبه ما تكون بطرد كليّة الآداب من كلِّ الأبنية، إلى أيّ مكان آخر بعيد عن كليّة العلوم، فكان اختيار مبنى ناءٍ بعيدٍ في الطرف الجنوبيّ من الجامعة، كانت الجامعة تستعمله منجرة ومحدَدة لقسم الصيانة، وأحيانًا لتدريب بعض طلبة الهندسة؛ ليصير مبنى كليّة الآداب، وبقي اسم الكلية وفيًّا للعلوم، فصارت الكلية تتشرّف باسم «كليّة الآداب والعلوم»، بإضافة صفة «الإنسانيّة»، واحتاج طاقم الدكتورة هند إلى سنة لإقناع الزملاء من قسم اللغة العربية

والتاريخ بالانتقال الكامل إلى المبنى الجديد، وتحمُّل شهور طويلة من رائحة بِرادة الحديد، وغِراء الخشب، أما قسما اللغة الإنجليزية، والفرنسية، فكان لهما مبنى قريب في الجهة المقابلة من الساحة الجديدة وَرِثاه من السَكَنات القديمة لطالبات الجامعة.

وهكذا كانت ولادة الكلية المستقلة للآداب والعلوم الإنسانيّة على يد الدكتورة هند، وانتقل معها ومعنا قِسْما اللغةِ العربية والتاريخ إلى المبنى الجديد، وأوّل سؤال فكّرتْ بالإجابة عنه مفادُه: «ماذا سنسمّي هذا المبنى؟» ولم يستغرق الأمر سوى ثوانٍ حتى توافقنا على أن يكون اسم المبنى «مبنى الأندلس»، كأنّها تؤسّس الأندلس الجديدة في جامعة آل البيت، ثمّ سألت عن اسم القاعة التي ستكون فيها مناقشات رسائل الماجستير، وكان الجواب «قاعة غرناطة»، ومضت الأيام، وصار يُقال: انظروا كيف صنعت الدكتورة هند من المنجرة والمحددة مبنى جميلًا لكليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة.

بعد تأسيس الكلية، صارت الآداب كلية الجامعة المركزيّة وواجهتها الثقافيّة، وصارت ساحتها التي تشاركها فيها شقيقتها كلية العلوم التربويّة ساحة كليّة الآداب، وتبعتْ كليّةُ الآداب الإنجازات العلميّة في المؤتمرات الدولية الكثيرة التي كانت تُقيمها أو تشارك في إقامتها؛ فانزوَتْ أو كادت الكلية الأخرى. وحتى يكتمل للأندلس اسمها سَعت الدكتورة هند إلى بناء نافورة جميلة عند مدخل الكلية وتزيين ساحتها، لكنَّها تركت الجامعة للتفرغ العلمي، كما فعلت أنا في الوقت نفسه، فتوقّف المشروع إلى اليوم على ما أظنّ.

وبما أنَّها مؤرّخة تعي أثر الجغرافية في التاريخ، استثمرت الزيارة الأولى أو الثانية لمعالي المرحوم الأستاذ الدكتور عبد السلام العبادي، الذي كان ثاني رئيس جامعة تتعامل معه عميدة كلية الآداب الدكتورة هند، ووقفت بجواره في قاعة مجلس الكلية في مبنى العلوم المعروف باسم «مبنى البيروني» في رئاسته الأولى القصيرة للجامعة، تسأله عن المسافات

الطويلة من مركز مبنى كلية العلوم إلى مبنى كلية الآداب، بل عن المسافات المتعبة على بناتنا وأبنائنا، فاقترحت بناء ممرّات القرميد بين مباني الجامعة، ولاقت الفكرة استحسان معالي الدكتور عبد السلام العبادي، الذي كان صاحب قرار جريء حين استدعى المسؤولين عن الصيانة والهندسة، ثمّ مضت الأيام فصارت جامعة آل البيت إلى اليوم مشهورة بممرّاتها القرميديّة الحمراء التي آمَلُ أن يتذكّر الجميع أنَّها فكرة الدكتورة هند حين كانت تحلم بممرّ جميل، يجعل المشي بين مباني الجامعة متعة، وأيّ متعة.

والدكتورة هند في كلّ عملٍ تقوم به تحرص على أن تكون فيه مسحة من جمالٍ وَرُقيٍ وحضارة، فاختارت أن تجعل في مكتبها لوحتين كبيرتين تمثلان هُويّة كليّة الآداب، في أبعادها الحضارية والتاريخيّة واللغويّة والثقافية، وما تزال اللوحتان إلى اليوم أجملَ ما في ذلك المكتب الكبير.

وبالعودة إلى الدكتورة هند في عملها الإداريّ اليومي، أجدني مضطرًا إلى الإيجاز والاختصار بانتظار كتابتها لسيرتها الذاتيّة التي أعرف أنَّها كانت تقول لي إنَّها ستسميها «ذاكرة كُرسي»؛ ولكي لا أحرق مُتعتها في الاحتفاظ لكلّ لقاء بذكر شيء جديد من ذاكرة مليئة بالأحداث والأشخاص والحكايات؛ ولهذا سأتوّقف عند ستّ لوحات أشهد أنَّ الدكتورة هند أبو الشعر، في إدارتها كليّة الآداب، جعلت كلّ لوحة منها مبدأً مُهمًّا من مبادئ الإدارة الأكاديميّة الناجحة، وهذه اللوحات هي:

لوحة فريق العمل، فالدكتورة هند تعي تمام الوعي أنَّ الإدارة الناجحة تعني تنفيذ الأعمال المطلوبة والمأمولة بأيدي الآخرين؛ ولهذا فهي تحتاج إلى فريق يعمل معها، ويؤمِن بفكرتها، ويشرف على تنفيذ العمل؛ لهذا كانت تختار في فريقها من يتصف بالمعرفة الممتازة بالعمل وقوانينه، على هدوء في التعامل، وحزم في القرارات، وصدق في الاستشارات، واحترام لآراء

الآخرين، وتمسّك برأي الجميع أو الأغلبيّة، فلا أذكر أنَّها انفردت في رأي أو فكرة، ولا أذكر أنَّها رفضت فكرة منطقيّة من أحد، ولا أذكر أنَّها تنصّلت من نتائج أيّ قرار، ولو كان فكرة الأغلبية التي لم تكن هي منها، كما لا أذكر أنَّها نسبت لنفسها وحدَها إنجازًا أو عملًا؛ فقد كانت دائمًا تقول: فكّرنا، وعملنا، وصار معنا، و... إلخ، وعندما تنال الفكرة استحسان رئيس الجامعة أو مجلس العمداء؛ تقول بفرح واعتزاز: هذه فكرة فلانة، وهذه فكرة فلان؛ لأنَّها في إيمانها بروح الفريق، إنّما تصنع من كلّ من يعمل معها قائدًا أكاديميًّا ناجحًا في المستقبل، بدلالة أنَّ معظم من عمل معها في عمادتها للآداب والعلوم، أو للآداب والعلوم الإنسانيّة، قد صار شخصية إدارية ناجحة في مركز أكاديمي مرموق، ولا أذكر أنَّ أحدًا عمل معها وعرفها حقّ المعرفة، ثم تبرّم منها بالاستقالة أو النقل، وكانت تؤمن أنَّ الإداري الناجح لا يمكن أن يكون مُلمًّا بكلّ المعارف والمهارات في كليّته، لكنه يعرف كيف يستحضر تلك المعارف والمهارات، فقد كانت تؤمن كلّ الإيمان بأنَّ المستقبل في التعليم الجامعيّ للحاسوب؛ ولهذا كانت حريصة أن يكون مختبر الحاسوب في كليتنا الأدبية رُكنًا مُهمًّا منها، كما كانت موهوبة في اكتشاف نقاط القوّة والتميّز والإبداع لدى الآخرين؛ لتعمل على استثمارها لصالح العمل في الكلية، إنَّها إدارية خبيرة بِطاقاتِ كلِّ العاملين معها، وبكيفية الإفادة منها، وبكيفية تنميتها، فهي لا تنفكّ عن تشجيع العاملين معها ليكونوا أفضل لأنفسهم ولبلدهم ولعائلتهم.

لوحة اليد الممدودة إلى المجتمع، فقد كانت تؤمِن أنَّ للمجتمع حقّه من المشاركة في صناعة الإنجازات، ومن واجب الجامعة أن تكون جزءًا من التنمية الشاملة لمنطقتها؛ لهذا كانت تفتح مكتبها للجميع، وتدعم كلّ ما من شأنه العودة بالخير والمنفعة على الجميع، ضمن احترام القانون وروحه؛ إذ ترى القانون شيئًا مقدّسًا لا يجوز المساس به أو بهيبته، أو تجاوزه، بل لا يجوز إلا أن يقف الجميعُ متساوين على مسافة واحدة منه، فكانت تحرص على

أن يكون أسبوعُ مكتبةِ الأسرة عن منطقة المفرق في كلية الآداب، تحديدًا، في احترام جميل للكتاب، ودعوة للمجتمع لزيارة الكلية والجامعة، لكنَّ أجمل ما في علاقتها مع الآخرين في العمل أنَّها لا تنسى أن تقف بجانب كلّ واحد منهم في فرحه وحزنه، فهي لا تنسى تهنئة أصدقائها والعاملين معها وطلبتها بأعياد المسلمين مع أنَّها مسيحيّة، ولا تنسى واجبات المشاركة في الأفراح والأتراح أثناء الإدارة، وبعد أن تخرج من مكتبها الإداريّ مَهْما طالت السنوات، وتغيّر الناس.

لوحة التسامح، فالدكتورة هند بطبيعتها لا تحمل غِلًّا أو حقدًا، بل تحمل الابتسامة والمحبة، وتتعالى على المنتقدين إن لم تستفِد من انتقاداتهم، وتعود عليهم بالتسامح؛ إذ تؤمن أنَّ المدير الناجح هو من يتجاوز المناكئين والمناكفين والمشاغبين والناكرين، ليجعلهم في صفِّه قوةً تُضاف إلى قوته، لا جزءًا مسروقًا ممّن هو مسؤول بحكم القانون عنهم، وكثيرًا ما استمالت بحُسن التعامل مَن أساء، بل كثيرًا ما نجحت في إصلاح بعض الطلبة، وتحويل حياتهم من المشي في طريق الضياع والانحراف إلى الركض في طريق النجاح والتألّق؛ لأنَّها ذات قدرة هائلة على الاحتواء، وذات إيمان راسخ بأنَّ كلّ مخطئ يمكن أن يعود إلى رُشده؛ ولهذا ما كانت تتردّد في استعمال كلّ وسائل الدعم للجميع، لكنَّها في النهاية ما كانت تتراجع عن المصلحة العامة حين تستلزم تطبيق الجانب غير المضيء في القوانين، وهو جانب المحاسبة والعقاب، فهي مزيج فريد من التسامح والحزم.

لوحة الحرص على رفع اسم الكلية والجامعة والوطن في كلّ المحافل، فالعمل معها يعني أن تكون متأكدًا من دعمها لك في السفر إلى أيّ بلد للمشاركة في ندوة متخصصة، أو في مؤتمر علمي دولي، أو المشاركة في ندوة محلية أو مؤتمر وطنيّ، تحمل فيه اسم كلية الآداب وجامعة آل البيت، واسم الأردن الغالي. وفي الوقت نفسه يعني العمل مع الدكتورة أنَّها في

أيّ فرصة ستحرص على دعم أيّ واحد في الكلية؛ ليكون عضوًا في لجنة عليا في الجامعة أو المحافظة أو الوطن؛ فهي تفرح بأيّ حضور لأيّ واحد في الكليّة، ولأيّ ترقية، ولأيّ إنجاز؛ ولا أنسى يوم أن رُقِّيت إلى رتبة أستاذ مشارك سنة ٢٠٠٥م أنَّها جاءت إلى مكتبي تبشّرني بالترقية بفرح لا مثيل له، كأنّها هي التي حصلت على الترقية لا أنا، هكذا كانت وستبقى أكثر فرحًا بغيرها من فرحها بنفسها.

ويعني العمل مع الدكتورة هند إمكانية إقامة مؤتمرين دوليين أو أكثر في سنة واحدة، مع مجموعة كبيرة من الندوات المحليّة والعلمية والثقافية، واستضافة القامات العلميّة والأدبية والفنيّة، وهذا يعني تحمّل العمل في ظرف صعب؛ لتحقيق إنجاز علمي ثقافي في استضافة كثيرين من عُشّاق مؤتمرات كلية الآداب من شتى البلاد والدول، وهم عندما تعود حقائبهم المسافرة إلى بلادهم، يحملون معهم أجمل الذكريات عن الكلية والجامعة والأردن، لكنّهم يُبْقُون عندنا ما تعلمناه منهم، ولو كان قليلًا من حصاد خبرتهم العلمية والإدارية.

لوحة إصلاح الإنسان: الدكتور والموظف الإداري والطالب والطالبة؛ إذ كانت ترى في إصلاح كلّ من حادَت به طريق الصواب إنجازًا، بل تراه واجبًا عليها بصفتها الإنسانيّة، فقد كاد أحد الطلبة أن ينجرف نحو طرق السوء والضياع، وكان يستحقّ الإنذار الأخير ثم الفَصْل، لكنَّها كانت ترى أنَّ إصلاحه أهمّ من فصْله؛ لأنَّ الجامعة لا تقذف إلى المجتمع إلا الناجحين، فجلست تسمع قصة حياته كأنَّها تسمع رواية شرقيّة بائسة الفصول، ثم وضعت خطة لإصلاحه، فإذ به يتحسّن يومًا بعد يوم حتى استقام أمره، ونجح وتخرّج على أحسن ما يكون الخرّيج.

واستدعت يومًا زوجة أحد الزملاء لتخبرها كيف أنَّ زوجها لديه مواهب وطاقات ينبغي

تعزيزها؛ ليكون أفضل، وليس ثمة من هو أفضل منها في مساعدته، فشعرت أنَّها تعلّمها واجب المرأة نحو زوجها؛ ليكون عظيماً أمام الناس، لكنَّها وراء كلّ تلك العظمة.

وكانت مستعدة دائماً لمساعدة من يحتاج إلى مساعدتها، حتى صار مكتبها مقصدًا لغير طلبة الكلية ممّن يأتون إليها لطلب النصح والإرشاد والمساعدة، بل للاتفاق معها على صناعة مستقبل أفضل. وكنتُ أراها تحمل هَمّ الآخرين كأنَّها من أقاربهم، أو كأنَّهم من أقاربها، لا تهمّها زاوية العلاقة، بل يشغلها موضوع واحد، وهو ترك بصمة خير، ولمسة حنان، وكلمة طيبة، وموقف مشرّف عندما تصبح الأيام ذاكرة، والأحداث ذِكرى.

لوحة التطوير؛ إذ كانت تتجاوز مقولة تسيير العمل، ومقولة احتواء كلّ العاملين، إلى الإيمان بضرورة تطوير العمل؛ لأنّها لا تدير عملًا آنيًّا، بل تصنع إنجازًا يتجاوز الحاضر، ويبقى في المستقبل بلمسة إنسانيّة جماليّة، همُّها دائماً المستقبل الذي ستكون عليه الكلية أو الجامعة؛ ولهذا ينبغي أن ترسِل إلى المستقبل بصمتها الخاصّة، فتعود إلى منزلها وهي تفكّر: ما الذي ستضيفه في صباح اليوم التالي لعملها وللعاملين معها، وللكلية وللجامعة.

ومع هذه اللوحات، ما كانت الدكتورة هند، وهي في أوج انشغالاتها الإدارية، تنسى أنَّها أستاذة جامعيّة، وباحثة، وأديبة، فلم تكن تتأخر عن محاضراتها، أو تؤجّلها، أو تلغيها، كما كانت دائماً القدوة والمثال في الإنتاج العلمي، والتميّز البحثيّ، والحضور الأدبيّ، وكنّا نتعجّب من قدرتها الهائلة على الصبر ساعات طويلة تقتطعها من وقت راحتها؛ لتكتب بحثًا، أو مقالة، أو كتابًا، أو قصة قصيرة، ثم تعود راسمة على وجهها الفرح والسرور، مع أنَّ تعب الجسم كان يأخذ منها نصيبه من الألم، لكنَّها من ذوات النفوس الكبار، وذوات العزم الذي لا يلين، إنَّها في تحمّلها العمل وحرصها على تطويره، كما قال المتنبي:

وإذا كانت النفوسُ كِبارًا تعبتْ في مُرادها الأجسام

ندعو للدكتورة هند بدوام السلامة والابتسامة؛ لتبقى أيقونة أردنيّة تزهو بكلّ ألوان الفرح، وتحضر في كلّ مناسبات التكريم؛ لأنَّها، وإن تأخّر زمان إنصافها، تستحقّ أن تكون من الأوائل دائمًا.